أودُّ أولاً أن أُحَيِّيَ فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ شيخَ الأَزهَرِ الشَّريفِ، رَئيسَ مَجلِسَ الحُكَمَاءِ المُسلِمِينَ الدُّكتور/ أحمد الطَّيِّب، وأن أشكُرَه على دعوتِه لي لحضورِ هذا المؤتمر العالَمِيِّ لنُصرة القُدس الَّتي تتعرَّض حالياً لمخططٍ يَهدِفُ إلى تغييرِ هُويَّتِها وطمسِ تاريخِها، والإمعانِ في قَهرِ أهلِها وتهجيرِهم.

غيابُ العَدَالةِ يَخنُقُ صوتَ الحقِّ، وعدالةُ الأرضِ مهما سَمَت ناقصةٌ، لكنَّ الباطلَ مآلهُ الزَّوالُ، ولا بُدَّ للحقيقةِ أن تَسطعَ، وللمَقهورِ أن يَنتَصِرَ.

إنَّ ما تُحَاولُ إسرائيلُ القيامَ به مدعومةً بالقرارِ الأميركيِّ الأخيرِ، يَهدُفُ إلى إبرازِ صورةٍ عن القُدس تتعارضُ مع تاريخِها، يُضاف إلى ما قامت به في العُقودِ الماضيَةِ من تغييرٍ عُمرانيٍّ وديموغرافيٍّ وسياسيٍّ لوجهِ المدينةِ، وهذا يُفقدُها فرادتَــها وذاكرتَــها الجماعيَّة، ويُحِيلُها مدينةً بلا ماضٍ ولا تاريخٍ.

لقد كانت القُدسُ وسوف تَبقَى في وَعينا المسيحيِّ الكَنَسيِّ مدينةَ السَّلامِ أورشليم، المدينةَ الَّتي وَطِئَتها قَدَمَا الرَّبِّ يسوع منذُ طفولتِه، والَّتي صلَّى في أروقةِ هيكلها وبشَّرَ فيها، وبذلَ فيها ذاتَه ذبيحةً عن الإنسانيَّةِ لكي يخلِّصَها.

كيف لهذه المدينةِ أن تفقِدَ هُويَّتها وتصبحَ مكاناً يَشهدُ على اضطهادِ المؤمنين باللَّه وسحقِــهم بعد تهجيرِ آبائِهم وأجدادِهم؟!

نحنُ لا ننظرُ إلى القُدسِ كمكانٍ وحَسب، بل كجوهرٍ يَحمِلُ معنًى رُوحِيًّا يتجاوزُ تقلُّبات التَّاريخ والسِّياسةِ وما جرَّته من عَدَاواتٍ وحروبٍ.

القُدسُ بالنِّسبَةِ لنا هي المدينةُ المُقَدَّسةُ الَّتي شَهِدت مراحلَ الصَّلبِ والموتِ والقيامة، وستبقى المكانَ الَّذي فيه يُرفَعُ التَّمجيدُ للَّه العَلِي إلى أبَدِ الدُّهورِ.

كثيرون تغنَّوا بالقُدس وكتَبُوا فيها القصائدَ، مُعَدِّدينَ ما تجمعُــه هذه المدينةُ من مَيزَاتٍ وما تُثيــرُه من مشاعرَ، ليس عبثاً أنَّها سُمِّيت «زهرةَ المدائن»؛ لأنَّها زهرةٌ بيضاءُ تجمعُ في حَناياها الإخوَةَ في اللَّهِ؛ مسيحيِّين ومُسلِمينَ؛ إذ لا أُخُــوَّة حقيقيَّة إلاَّ باللَّه. إنَّها مدينةُ الصَّلاة، صلاةِ كُلِّ مَن يُؤمِن بالإله الواحدِ الأوحدِ، الَّتي نتوقُ جميعنا إلى زيارتِها، والسَّيرِ في طريق الجُلجلة الَّتي خَطَاها الرَّبُّ، والتبرُّكِ من كنيسةِ القيامة، وموضعِ الصُّعود، ومكانِ حُلول الرُّوحِ القُدس في العَنصَرَةِ على التَّلاميذ، وقبرِ والِدةِ الإله، وغيرِها

من أماكنِ الحَجِّ المسيحيِّةِ والإسلاميِّة الَّتي تَزخُر بِهَا، لكنّ القدسَ بالنِّسبَةِ لنا هي أكثرُ من هذا، على أهمِّيَّتِه.
نحنُ لا نوافقُ على تهويد القُدس وتشويه طابعها العربيِّ المسيحيِّ الإسلاميِّ، كما نرفضُ بشِدَّةٍ تهجيرَ العربِ والمسيحيِّين بشَكلٍ خاصٍّ؛ لأنَّنا نعتبرُ أنَّ القُدسَ بكنائِسها ومُؤسَّساتِها وأوقافها قُدسُهم، وهي مدينةُ آبائهم وأجدَادِهِم، وَمَنبَعُ دِيَانَتِهِم، ومحلُّ إيمانِهِم وصَلاتهم.
إنّ البشرَ هم همُّنَا الأكبرُ في القُدس الَّتي يجبُ أن تَبقَى لأهلها الفلسطينيِّين، وأن تَبقَى مدينةَ الصَّلاة والسَّلام، ومكانَ التَّعايُش بين الأديانِ والشُّعوب.
هنا يهمُّني أن أؤكِّدَ أنَّنا كأرثوذكسيين أنطاكيين كنَّا وما زِلنا نعتبرُ أنفسنا أوَّل الموجودين في القُدس وأوَّل المهتمين بها وبمصيرِها.
نحنُ نؤمنُ أنَّ الفلسطينيِّين هم أصحابُ البيتِ، وقد تَمَّ تَحوِيلُهم إلى غُرَباءَ ومُشرَّدينَ.
إنَّنا كمسيحيِّين مَشرقيِّين نلتمسُ الرِّضي الإلهيِّ، وننشدُ وجهَ الله حيثُما كُنَّا، وخاصَّةً في القُدس وفي وجوهِ إخوتِنا وأبنائنا، ونَسعى إلى إحقَاقِ الحقِّ، وابتغاءِ العدالةِ، والعملِ على إعلاءِ شأنِ الإنسان، والحفاظِ على حُرِّيَتِه وكرامتِه.
نحنُ قومٌ نؤمنُ أنَّ الله قد خَـلَـقَـنا أحرارًا، وأنَّه تجسَّدَ ليعتقنا من عبوديةِ الشَّرِّ والخطيئةِ، وليُعيدنا إلى أحضانِ الآب، جاعلاً إيانا أبناء له بالنِّعمة المُعطاةِ لنا من لَدُنه.
الإنسانُ بالنِّسبة لنا يحملُ نفحةً إلهيَّة وهو محلُّ المحبةِ والاحترامِ؛ لأنَّه مخلوقٌ على صورة اللَّهِ ومثالِه، وهو عزيزٌ في عَينَيِ الرَّبِّ وعيونِ أحبائه.
كلُّ ما يُجرِّدُ الإنسانَ من كونِه غايةً في ذاتِه هو خروجٌ على إرادةِ اللَّه ومحبتِـه اللامحدودة. وكلُّ مَن يَحدُّ من حُريَّةِ الإنسانِ ويَحرِمُه حقوقَه يخالفُ التَّعاليم السَّماويَّةَ.
إنَّ القُدسَ حقٌّ لأبنائِهَا، كما أنَّ لبنانَ حقٌّ لأبنائِهِ، وكذا في سائرِ بلدان شَرقِنا والعالَمِ. لذلك مِن حَقِّ الشَّعبِ الفلسطينيِّ أن يعيشَ بسلامٍ في بلادِهِ، في أرضِهِ، في قُدسِهِ.
هنا أستذكرُ قولَ المُثَلَّثِ الرَّحمة البطريرك/ إغناطيوس الرَّابع في القِمَّةِ الإسلاميَّةِ في الطَّائفِ سنة ١٩٨١م، يقولُ: «القُدسُ قلبُ إنسانيـتِـنا، وما يصيـبُـها يصيبُ كلَّ بشريٍّ بمقدارٍ». ونحنُ هنا في لبنان قد أُصبنا من

جَرحِ القُدسِ وفلسطين عامة، وفتحنا أرضنَا وقُلوبنَا لإخوتنا الفلسطينيِّين، وكُنَّا نَأملُ أن تكونَ استضافــتُـــنَا لهم قَصِيرةً؛ لماذا! لكي يعودون بعدَها إلى ديارِهم آمنينَ.
وها قد انطوى أكثرُ من نصفِ قرنٍ، وما زالُوا غُرباءَ في ديارِ الأرضِ، والعالَمُ مُتغافِلٌ، و- المصيبة - العربُ نائمونَ، وما زالت القدسُ حزينةً على فَــقــد بَنِيهَا.
أمــلُــنا أن يُـقتَـرَحَ حلٌّ لا يشوِّهُ وجهَ القُدسِ، ولا يُـفقـدُها فرادتَــها أو يَتناسى تاريـخَــهَا وتراثَــها.
القُدسُ كَلُبنَان مكانُ لقاءِ الأحباب، لقاء الإخوة؛ لقاء المسيحيِّين والمسلمين. ومكانُ تفاعلِ الأفكارِ والثَّقافاتِ والأديان. الأديان تَخصُّ المسيحيِّين بقَدرِ ما تَخصُّ المسلمين، والاهتمامُ بمصيرِهَا مُشتَرَكٌ. من القُدس انطلقت المَسيحيَّةُ إلى أقاصي الأرضِ، وفيها أوصى الرَّبُّ يسوع تلاميذَه: «اذهبوا وتَلمِذُوا جميعَ الأُممِ، وعَمِّدوهُم باسمِ الآب والابن والرُّوحِ القُدسِ، وعلِّموهم أن يحفظُوا جميعَ ما أَوصَيــتُــكم به، وها أنا مَعكُم إلى انقضاءِ الدَّهرِ»(*).
نحنُ إذًا أصيلون في القُدس أصالةَ الرَّبِّ يسوع، ولا يمكن لأحدٍ أن يَجهَل التَّاريخَ.
إنَّ الوَجهَ الحقيقيَّ لشرقِنَا الأوسط، ولقُدسِنا بخاصَّةٍ، لا يتجلَّى في أصالتِه إن لم يرتفع فيه صَوتان معاً؛ صوتٌ مسيحيٌّ وصوتٌ إسلاميٌّ، يُشَكِّلانِ تَوأَماً مَشرِقيًّا يُطَالِبُ بحقِّ الفلسطينيِّين بأرضِهم، وحقِّ المسيحيِّين والمسلمينَ بمُقَدَّسَاتِهم.
مَشرقُــنَا لن يَسلَمَ فِي جوهرِه إن لم تَــسـلَــم هذه النَّواة، والقُدسُ تفقدُ معناها إذا فَقدت أيَّ عُنصرٍ من عناصرِها الرُّوحيَّة، فلنرفض معاً أن تكونَ القُدسُ أُلعوبةً سياسيةً، أو منطلَـقاً لمآربَ تَغلبُ فيها المَصلحةُ على الحقيقةِ والاستقامة والعدالةِ. ولا نَـدَعَـنَّ جِدِّيَّةَ من يودُ سلبَـنا القُدسَ تكون أقوى مِن جِدِّيَّةِ إرادتِـنا في استعادتِـها.
أخيراً نُكرِّرُ مع فيروز -اللبنانية العربية-:
البيتُ لنا والقُدسُ لنا
وبأيدينا سنعيدُ بَهَاءَ القُدسِ
بأيدينا للقُدسِ سَلامٌ آتٍ.

على رجاءِ أن يَمُدَّ الرَّبُّ الإلهُ يدَ رحمتِـــــه علينا، ويوقفَ كلَّ نزفٍ في ديارِنا، ويُضَمِّدَ جِرَاحَاتِـــنا، ويَبسُطَ سلامَه في شَرقِنا وفي العالَمِ أجمعَ، أَتَمَنَّى لَكُم جَمِيعًا كُلَّ خَيرٍ وَبَرَكَةٍ من لَدُنه.